ثقافة الشباب: النشأة والتطور

مراجعة نظرية

إعداد

د.مطلق طلق العتيبي

عضو هيئة التدريس المتعاون بقسم الخدمة الاجتماعية

جامعة أم القرى-المملكة العربية السعودي

مقدمة:

ثقافة الشباب باعتبارها مشكلة اجتماعية محط اهتمام علماء الاجتماع منذ الخمسينات من القرن الماضي، عندما تحرر المراهقون في فترة الانتعاش والرفاهية من متطلبات الزراعة، والصناعة والجيش بسبب الرخاء الاقتصادي لما بعد الحرب في المجتمعات الغربية. فقد حصل هؤلاء المراهقين الجدد على حرّية الراحة والفراغ. وأصبح التمرد سمة من سمات الثورة على الحياة العادية والركود حتى قبل بلوغ سن الرشد والنضوج. ولهذا نظر إلى ثقافة الشباب على أن لها خصائص عاطلة وغير فعالة. وعلى أنها ثقافة المراهق الثانوية التي تسمو وتتفوق على كل الثقافات المرتبطة بالبيت، والجيرة، والمدرسة.

نتج عن هذا وضع الشباب في علاقة عدائية مع النظام الاجتماعي وأنهم مصدر المشاكل الاجتماعية. خاصة أنهم لا يشكلون مرحلة عمرية مؤقتة فقط، ولكن يشكلون فئة اجتماعية تكونت بفعل الثقافة، حيث أن طرق المشي والكلام، وأساليب اللباس والتنقل، وأشكال الموسيقى والرقص الخاصة

بالشباب، كل ذلك لا يحمل فقط معنى ثقافي فرعي، ولكن أيضاً معاني اجتماعية أكبر(Munci،2004، 157).قادت هذه النظرة إلى اهتمام اجتماعي كبير في كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية.

فقد استخدم مصطلح ثقافة الشباب الفرعية أو الثانوية في علم الاجتماع، وخاصة علم الجنائي، على اعتبار أن السلوك المنحرف، في كثير من الأحيان، سلوكا ثقافياً فرعياً، بسبب أن الأفعال والهويات الإجرامية نشأت أساسا داخل حدود الثقافات الفرعية الجانحة. أعضاء هذه الثقافات يطورون أنماطاً من اللغة، والمظهر، وتقديم النفس، ويشاركون بدرجات متفاوتة في الثقافة الفرعية كطريقة للحياة الجماعية، حيث أن الملابس الرياضية لراكبي الدراجات البخارية، أو وشم أعضاء العصابة، أو الرسومات الغامضة في الشارع لكاتبي الرسومات، أو موسيقى حليقي الرؤوس، كلها رموزاً لأنواع من الثقافية الفرعية (Ferrell and Sanders،1995، 4).

تقدم هذه الدراسة تصوراً عاماً عن ثقافة الشباب من خلال تناول نشأة هذه الثقافة، وتقديم عرض مفصل عن أساليب ونماذج ثقافة الشباب الثانوية. بالإضافة إلى تناول بعض القضايا ذات الصلة بثقافة الشباب بشكل عام.

أولاً- مفهومات نظرية:

مفهوم الثقافة Culture :

تشير كلمة " ثقافة " في الاستخدام الروتيني أو اليومي إلى المستويات الإبداعية في الفكر الإنساني مثل الفنون، والأدب والموسيقى والرسم، إلا أن

الثقافة كمفهوم اجتماعي تشمل هذه المستويات بالإضافة إلى مستويات أخرى أوسع منها فهي تعني أسلوب الحياة الذي ينتهجه أعضاء مجتمع ما أو جماعة ما، اكتسب بالتعلم لا بالوراثة. تشتمل الثقافة على هذا الأساس، أسلوب ارتداء الملابس وتقاليد الزواج، وأنماط الحياة العائلية، وأشكال العمل، والاحتفالات الدينية، بالإضافة إلى وسائل الترفيه والترويح عن النفس. وتتألف من جوانب مضمرة غير مشاهدة، مثل المعتقدات والآراء والقيم التي تشكل المضمون الجوهري للثقافة، ومن جوانب مشاهدة وملموسة مثل الأشياء والرموز أو التقنية التي تجسد هذا المضمون(جدينز، ٢٠٠٥م، ٧٩).

- الثقافة الفرعية Sub-culture :

فرع من ثقافة المجتمع تميز بعض شرائح حسب السن أوالدين أو الطبقة وغير ذلك من المحددات الأخرى. ظهرت هذه الثقافة في المجتمعات المعقدة والكبيرة، وتحوي مجموعة من الرموز التعبيرية، والمعايير والقيم والجزاءات، وطرق التحدث والسلوك التي تميز مجموعة من الأفراد في المجتمع الأكبر (Kutubkhna،1997، 52).

- ثقافة الشباب Youth culture:

تعبر ثقافة الشباب شكل من أشكال الثقافة الفرعية، صاغ هذا مصطلح (ثقافة الشباب Youth Culture) عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز (Talcott Parsons) في عام ١٩٤٢م بهدف عزل أنماط سلوك المراهقين التي تقوم على قيم مبدأ اللذة والمتعة، والتمتع بوقت الفراغ، والاستهلاك، وعدم تحمل المسئولية، أكثر من اعتمادها على قيم العمل المثمر

(السيد، ٢٠٠١م ٣١).

تشير ثقافة الشباب إلى ثقافة ثانوية انتقلت من الطفولة إلى سن الرشد والبلوغ. تحتوي مجموعة من الخصائص والسمات السلوكية، ومجموعة من القيم والمعايير والمعتقدات والرموز التعبيرية، التي تشكل في جملتها إطاراً مرجعياً يحكم سلوك الشباب وتصرفاتهم، ويساعدهم على التكيف مع المواقف الاجتماعية التي يتعرضون لها (الزيدي،٢٠٠٦م،٢٠٤).

- **الشباب Youth:**

تتعدد وتتداخل تعريفات مفهوم الشباب.نظراً لتباين وجهات النظر حول حدود مرحلة الشباب فهناك من حدد بداياتها بسن الثالثة عشر إلى الحادية والعشرين ويطلق عليها مرحلة المراهقة ، وهناك من يرى أنها تبدأ بسن الرابعة عشر حتى سن السابعة والعشرين ، ويرى آخرون أن مرحلة الشباب تغطي الفترة من عمر السابعة عشر حتى عمر السابعة والعشرين وما بعدها .في حين تعتبر الدراسات والتقارير الصادرة عن هيئات الأمم المتحدة وخبرائها جميع الذين تقع أعمارهم بين الخامسة عشر والخامسة والعشرين هم الشباب من سكان العالم (حجازي،١٩٨٧م،٣٥).

ويعتبر الشباب سوسيولوجياً، شريحة اجتماعية تقع في الفئة العمرية من الخامسة عشر إلى الثلاثين عاماً، وتتسم هذه الشريحة بالحيوية والنشاط ومرونة العلاقات الإنسانية، وتتسم أيضاً بعدد من الخصائص والقدرات البيولوجية والنفسية والاجتماعية، مما يجعلها قادرة على أداء أدوارها المختلفة.

ثانياً- نشأة ثقافة الشباب:

ارتبطت ثقافة الشباب في نشأتها بكل من العصابة والأسلوب. تتألف العصابة من مجموعة من الأشخاص لهم أهداف أو اهتمامات مشتركة أو يواجهون مصير مشترك. يبني هؤلاء الأشخاص تدرجاً اجتماعياً فيما بينهم يتحدد من خلاله مسؤولياتهم وأدوارهم. كافة جماعات المراهقة، على ثقافة خاصة (ثقافة الأقران - ثقافة الشباب) تساعد أعضاء المجموعة على معرفة نطاق واسع من البدائل التي تتعلّق باختيارات المهنة والرموز الأخلاقية وأساليب الحياة المختلفة، وتمدهم ببعض القيم التي تميزهم عن عالم البالغين (Gaines، 1993، 25).

فكرة العصابة خاصة بالقرن العشرين وأبرزتها بدرجة كبيرة الدراسات في المجتمع الأمريكي. من أشهر وأقدم تلك دراسات، دراسة فردريك ثرايشر (Frederick Thrasher 1927) إذ قدر في عام ١٩٢٠م وجود أكثر من ١٠٠٠ عصابة من الشباب تنتشر في مدينة شيكاغو وحدها، وأن ما يبدأ الشاب فعله على سبيل اللعب والمزاح قد يتطور ويدخل الشاب في صراع مع المجتمع والبيئة التي يعيش فيها ويزداد التطور تباعاً حتى يصبح الشاب منحرفاً ومرتكباً للجرائم (Wooden and Blazak، 2001، 7). ونظر للعصابة في دراسات أخرى لاحقة، كجزء مكمل للنظام الاجتماعي بدلا من كونها في صراع مع المجتمع، إذ وصفها وايت (Whyte) في دراسته على أولاد زوايا الشوارع في مدينة بوسطن عام ١٩٤٣م، بأنها توفر مأوى بديل

وتعتبر مصدر للأشياء التي فشل المجتمع في إعطائها، إنها تملأ فجوة وتقدم مكانا للهروب (Ibid،11).

يلجأ الشباب إلى العصابات كنوع من أنواع التضامن والبحث لهم عن دور ومعنى. ويبين مايكل بريك (Michael Brake) أن مثل هذه العصابات أو الجماعات توفر خمس وظائف أساسية للشباب: ١) تعمل هذه الجماعات على إيجاد الحلول المختلفة، حتى إذا كانت هذه الحلول لمشاكل طبيعية. ٢) توفر خبرة ثقافية على مستوى تطبيقي. ٣) تعمل على خلق واقع بديل من الرموز والشعارات الفريدة. ٤) تعد وسيلة لاستغلال وقت الفراغ. ٥) تعطي للشباب فرصة العمل والتعبير عن أمورهم الشخصية

(Brake،2002، 25).

بحلول عام ١٩٥٠ م استبدل مفهوم العصابة في الدراسات الاجتماعية بمفهوم بديل" الثقافة الثانوية أو الفرعية ". وذلك من خلال أبحاث ألبرت كوهين (A. Cohen) عام ١٩٥٥م التي أجراها على العصابات في شيكاغو. حين نظر إلى العصابة كثقافة ثانوية ذات نظام قيمي يختلف عن ذلك النسق القيمي للثقافة الأمريكية السائدة. وبرهن على أن شباب الطبقة العاملة يستخدم العصابة كطريقة رد فعل ضد مجتمع تسوده قيم الطبقة المتوسطة، مثل: الطموح والسلوك القويم، واحترام ملكية الغير (Cohen،1955، 96). بطريقة مشابهة أوضح كلاورد و اوهلن (Cloward & Ohlin) عام ١٩٦١م، أن العصابات التي تتألف من شباب الطبقة العاملة تنخرط في الانحراف والجريمة عند وجود عزو للثقافة الجانحة كوسائل تعديل، قام بعملها أعضاء هذه الثقافة، لأنهم ينقصهم المدخل الشرعي

من أجل تحقيق الأهداف التي تحققها الطبقة المتوسطة. وهكذا يتم الوصول إلى المكانة المرغوبة بإتباع أساليب منحرفة وغير شرعية (مرسي، ١٤٢٣هـ، ٢٣٩).

خلال النصف الثاني من القرن العشرين تحول الاهتمام من انحراف العصابات إلى الاهتمام بثقافات الشباب من خلال التركيز على الأنشطة التي تمارس أوقات الفراغ.خاصة بعد دراسات الثقافة الثانوية البريطانية التي قام بها مركز الدراسات الثقافية المعاصرة بجامعة برمنجهام (Birmingham University) ، فقد كانت أول دراسة عن ثقافة الشباب في بريطانيا على يد ابرامز (Abrams) عام ١٩٥٩م بعنوان "المراهق المستهلك" "The Teenage Consumer " كشفت هذه الدراسة عن ثقافة جديدة للشباب تتلخص في: الراحة والفراغ، والأزياء والموضة، والملابس، ومساحيق التجميل، وموضات تصفيف الشعر، وتسجيلات موسيقى الروك آند رول (Rock'n'roll)، والأفلام، والمجلات، وحفلات الرقص، والملاهي الليلية (فيرث، ٢٠٠١م، ٤٢٢).وكذلك دراسة فيل كوهين (Phil Cohen،1972) على تعاقب الثقافات الثانوية لشباب الطبقة العاملة في شرق لندن. حيث بين أن الشباب عزلوا أنفسهم من سوق العمل وانحرفوا باهتمامهم وطموحاتهم إلى السعي وراء الراحة وأنشطة وقت الفراغ، خاصة بعد التطور الكبير الذي شهدته صناعة الترفيه "الدراجات، والجواكت الجلد، وأجهزة الأستوديو، والدراجات النارية، والتسجيلات الموسيقية" الخاصة بالمراهقين في فترة الستينات والذي تزامن مع زياد معدلات الرخاء الاقتصادي في ذلك الوقت. الأمر الذي وضع غالبية الشباب أمام أيديولوجيتين متعارضتين، هما:

الايدولوجيا الجديدة الاستهلاك المدهش، وايدولوجيا العمل أو المهنة وإتقانها (Brake، *op.cit.*، 25).

العمل الرئيس لمركز جامعة برمنجهام أطلق عليه المقاومة من خلال الطقوس، عندما نظر إلى ثقافات الشباب على أنها اعتراضات رمزية للمتناقضات الاجتماعية، وأنها تقدم نقداً رمزياً للنظام المؤسس. ومن هنا يبرز ارتباط ثقافة الشباب الفرعية بمسألة الأسلوب (A Matter of Style) وذلك من خلال قراءة أو تحليل أساليب الأناقة "طريقة اللبس والكلام والمشي.. إلخ" في الثقافة الثانوية للاستدلال على شيء وراء المظهر الخارجي. قدم هيبدج (Hebdige) تحليلاً مفصلاً عن هذه العملية في تفسيره لماذا اختار راكبوا الدراجات الصغيرة هذه الدراجات ليركبوها، ولماذا ارتدى حالقوا الرؤوس الأحذية ذات الرقبة الجلد الطويلة، ولماذا وضع شباب جماعات البونكس الدبابيس في أنوفهم، بقوله: "هذه الأشياء الحقيرة التي يستخدمونها في ملبسهم ومظهرهم تحمل معاني خفية عن المقاومة والرفض للنظام الاجتماعي الذي يستوجب الخضوع له، وهم يرفضون ذلك الخضوع ويعبرون عن ذلك بهذه الأفعال الغريبة " (Hebdige، 1988، 113-117).

ثالثاً- التفسير النظري لظهور ثقافة الشباب:

قدم التراث السوسيولوجي العديد من المحاولات التي تفسر ظهور ثقافة الشباب وارتباطها بالانحراف من خلال البحث عن المتعة.حيث تفسر المقولات النظرية لعلم الجريمة الثقافي عدد من سلوكيات الشباب، مثل الرسومات على الجدران، وقيادة السيارات بسرعة متهورة، وتخريب الممتلكات عمدا...الخ، والتي تكون معبرة أكثر من كونها وسيلة، من خلال

دراسة " الانحراف كثقافة" بتوضيح كيف أن الأسلوب والمتعة يكمنا باستمرار في التفاعل التنافسي بين ثقافة الشباب والسيطرة القانونية. التي تنطبق على ثقافات حياة النادي والمرح واللهو، وعلى المتعة بخرق القواعد والقوانين والتي تنطبق أيضاً على تحليل الترفيه في الحياة اليومية (Ferrell and Sanders، *op.cit.*، 10-11). يتبين ذلك على سبيل المثال في دراسات عدة. ففي دراسة جاك كاتز (Jack Katz) عن "إغراءات الجريمة" "Seductions of Crime 1988" توصل إلى أن العواطف الفردية، مثل الإثارة، تعتبر شيء أساسي للحدث الإجرامي. إذن الانحراف ماهو إلا وسيلة للشعور المتسامي بالنفس، إنها طريقة للتغلب على صعوبات الحياة ومشاكلها ومتاعبها التي تواجه الفرد في حياته اليومية. جاك كاتز طبق هذا التحليل أيضاً على سرقة المحلات، والسطو المسلح، والقتل، وكان لهذا التحليل صدى واسعاً في السلسلة الكاملة للأنشطة الإجرامية، مثل: تخريب الممتلكات العامة، وسرقة السيارات، وتجارة المخدرات، وإشعال الحرائق، والشغب في الملاعب الرياضية، والقتال بين العصابات، وغيرها من الجرائم التي ربط بينها وبين الشباب، والتي تعبر عن لحظات الإثارة، وعن اكتساب لحظات من السيطرة، وعن إغراء المتع الموجودة في التصرفات والأفعال الإجرامية

(Katz، 1988، 326-329).

استمر عمل لينج (Lyng) عن الخطر الطوعي في تناول هذا الموضوع، وذلك بتقديم مفهوم "عمل الحافة" "Edgework 1990". هذا المصطلح تم اقتباسه من وصف هانتر تومسون (Hunter Thompson) الصحفي، لخبراته الفوضوية التي دفعته إليها تعاطي المخدرات. هانتر تومسون لم يتحدث عن سلوكيات الشباب المنحرفة، لكنه قام بعمل تحليل

لعمل الحافة في الأنشطة التي تتميز بدرجات عالية جدا من الخطورة، مثل الطيران الشراعي اليدوي، وسباق السيارات، واختبار قيادة الطائرات، ومكافحة النيران، وهذا التحليل كان له صدى كبيراً عند أي فرد مهتم بالخصائص التعبيرية للجريمة. عمل الحافة يجذب بعناية السمات التلقائية لتحقيق الذات الذي يعوقه عالم العمل التافه. ويقدم أيضاً عمل الحافة سيطرة وهمية في عالم مليء بالإغراءات للفوضوية التجريبية التي يتجول فيها الفرد في مملكة الأنماط الاجتماعية التأسيسية إلى حافات الواقع المنظم

(Lyng،1990،881-863).

ذكرا أومالى و ماجفورد (Omally & Magford 1996) من خلال فحص الإغراء وعمل الحافة، أن ظاهرة المتعة الجديدة مطلوبة إذا أردنا أن نتعرف على الجريمة والانحراف كارتكاب لما هو محظور وكتجاوز للقانون من قبل الشباب. علاوة على أن فكرة الهروب من الروتين تقدم تفسيراً للكثير من أشكال الانحراف التي يقترفها الشباب الحضري، كمحاولة لتحقيق بعض السيطرة في عالم منعزل غير آمن(Omally and Magford،1996، 284-293). هذا ما أكده فاريل (Ferrell 1996،1998،2001) عندما قام بجولات شاهد فيها فرق الهيب هوب، ومن يغنون في الشوارع، ومن يقومون بالرقص والقفز، وشباب جماعات البونكس، وذلك عندما أصبحت مثل هذه الأنشطة تُلاحق من الشرطة بعد تجريمها وحظرها. وتوصل إلى أنه كلما كانت الإثارة الحافية (من الحافة) التي كانوا قادرين للوصول إليها، كلما أدركوا مزيدا من المتعة والنشوة والتحرر الوهمي (Ferrell،2001، 183-161).

مثل الوجوديون، دخل اليساريون الجدد مرحلة الانحدار والاضمحلال، إلا إنها عاودت الظهور بعد مرور خمس سنوات، ولكن بأسلوب مختلف تماما في الاحتجاج والمعارضة، استمد قوته الدافعة من الثورات الطلابية في أمريكا وأوروبا و من الجماعات السرية للثقافات المضادة (Source: Patterns of Youth Culture، www.sonlifeafrica.com).

(٢-٢) الهيبز (Hippies)

ثقافة الهيبز المضادة فرع من البويهمية ظهر في بداية الستينيات، على الساحل الغربي للولايات المتحدة، بالتحديد في مقاطعة هايت أشبرى (Haight Ashbury) في مدينة سان فرانسيسكو (San Francisco) بولاية كاليفورنيا. طائفة الهيبز انتشرت على يد تيموثي ليري (Timothy Leary) وتأسست أيضا على يد كين كايسى (Ken Kesey) وجماعته التي تسمى " المازحين الظرفاء ". اهتمام ليري كان جزء منه علمي والجزء الآخر كان مرتبطاً بالصحوة الدينية. أما مساهمة كايسي في ثقافة الهيبز تمثلت في أنه أراد أن يجعل تجربة تعاطي عقاقير الهلوسة منعشة وممتعة ومبهجة (McCracken، *op.cit.*، 26-27).

الهيبز يبحثون عن الحب لا العنف، ويعبرون عن أنفسهم بحرية بدون الخوف من المحاذير الاجتماعية فقد فضلوا أسلوب الانسحاب من الحياة وتجنب العمل واختيار الفقر طواعية، كانوا مثل الوجوديين في رفضهم ومعارضتهم لزيادة استخدام التكنولوجيا، وزيادة البيروقراطية في المجتمعات الرأسمالية والمجتمعات الاشتراكية. تميزت ثقافة الهيبز بأنها لم تكن ثقافة سياسية، فلم يكن لهم حزب ولا قيادة ولا بيان رسمي يعبر عنهم. تعتمد هذه الثقافة على استخدام المخدرات وعقاقير الهلوسة لاستكشاف حدود الخيال

والتعبير عن الذات في اعتقادهم بأنها تمكنهم من أن يروا الواقع بصورة أوضح، وتمكنهم من أن يروا الواقع وهو خال من كل الأفكار والمفاهيم القديمة.

بالرغم من أن الهيبز مهتمون بالسلام والحرية الفردية، إلا أنه على الدوام وصفت ممارساتهم بأنها خطيرة، بسبب أسلوبهم في الملبس وإطالة الشعر وعدم قصه وتعاطيهم للمخدرات والعقاقير، وبسبب تفضيلهم موسيقى الروك الصاخبة (Ibid).

(٢-٣) الناشطون السياسيون والفوضوية السياسية

(Political Activists and Anarchism)

اعتنق كثير من الجماعات الطلابية في أرجاء أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٨م مبادئ المعارضة البويهمية، وكان هذا أساس بني عليه حركة سياسية راديكالية. اشتعل نشاط هذه الحركة عندما أصدر الرئيس الأميريكى السابق ليندون جونسون (L. Johnson) أوامره ببدء قصف القنابل على فيتنام الشمالية. أساليب الإدارة الأميركية في فيتنام، والحقوق المدنية للسود، وزيادة التحكم الحكومي في التعليم كانت هي الوقود الذي أشعل المظاهرات والاحتجاجات عام ١٩٦٨م. في هذه المظاهرات حدث توحد بين تكتل المناضلين السود، والطلاب، والهاربين من التقاليد الاجتماعية، وجماعات الهيبز، وحركات التحرير النسائية (Munci، op.cit.، 177).

اشتملت الثقافة المضادة على إجراء سياسي فوضوي قاده الكثير من المنظمات الشبابية الراديكالية، مثل الحزب الدولي للشباب، واللواء الغاضب،

ثانياً- نماذج من ثقافة الشباب:

ذكر ماك كراكين (Grant McCracken) في كتابه الوفرة: الثقافة بالاضطراب "Plenitude: Culture by Commotion" أن الاختلافات في الصيحات، والملابس - وهي اختلافات السطحية - تشير إلى الاختلافات التحتية، وهي الاختلافات في القيمة والمنظور. فالاضطراب السطحي لعالم المراهقين يأتي من عملية أكثر تنظيماً وأعمق، من الإبداع الذي يفرز العديد من أنواع المراهقين، كل بأفكاره الخاصة، وقيمه، وعقائده. وهذه التعددية كافية لإظهار شيئين. الأول، هو أن عالم المراهقين مليء بالاختلاف. والثاني، أن ثقافة الاضطراب تقوم بشيء أكثر من إحداث التنوع فقط. إنها تولد أنواعاً ثقافية أعمق، تتميز كل منها بأسلوبها الخاص (McCracken،2005، 9). لذا فإن تحليل الثقافات الفرعية للشباب باستخدام الأسلوب، قدم مجموعة كبيرة من النماذج التي يمكن الإشارة إليها على النحو التالي:

١- الثقافات الفرعية والمقاومة (Subcultures and Resistance)

تشمل هذه الثقافة الأساليب التي اتخذها شباب الطبقة العاملة ليعبروا بها عن رفضهم للنظام الاجتماعي الذي فرضته الطبقة الوسطى ويعتبرونها رمزاً لمقاومتهم لذلك النظام. واستخدم هنا مصطلح " الثقافة الفرعية أو الثانوية " على أساس أن أوجه الشبه والاختلاف تمت مقارنتها مع ثقافتهم الطبقية الأصلية. أولاد الدمى، وراكبوا الدراجات، وحالقوا الرؤوس، والبونكس، والأولاد الوقحين، والراستيفاريين. جميعها نماذج لثقافات الشباب المقاوم، والتي نتناولها بشيء من الإيضاح على النحو التالي:

(١-١) أولاد الدمى (Teddy Boys)

أولاد في سن دون العشرين، يعبرون عن تمردهم بلبس الأزياء التي كانت تلبس في عصر الملك ادوارد. وظهر هذا النموذج في بريطانيا بسبب عدم استفادة أبناء الطبقة العاملة من الرخاء الذي ساد المجتمع البريطاني بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. حيث وجد شباب الطبقة العاملة غير الماهر نفسه خارج دائرة التمتع بالغنى والثراء، إذ اكتشفوا أنهم لا يزالون يعانون من الحرمان؛ من التمتع بوقت الراحة والفراغ، وإمكانية شراء السلع الاستهلاكية. كان رد فعل أولاد الدمى لمكانتهم الاجتماعية المتدنية ومكانتهم الثقافية هو الدفاع عن قيم الطبقة العاملة، وعبروا عن موقفهم الخاص باختيار ملبس معين وموسيقى معينة (Munci، and Hughes، 2002، 166). فقد كان من ينتمي إلى أولاد الدمى يعتبر طوله زائد عن الحد (بحسب معايير الخدمة العسكرية البريطانية ١٩٤٧ - ١٩٦٠م)، وأيضا له شارب خدي طويل، ويضعون أولاد الدمى كمية كبيرة من الكريم على شعرهم من الأمام، أما مؤخرة الشعر فكانوا يتركونه طويلا، وكانوا يطلقون على الشعر الخلفي الطويل (ذيل البطة). كان عقارهم المخدر هو المشروبات الكحولية. أما فيما يخص ملابسهم، فكانوا يلبسون ملابس ساخرة تشبه ملابس الأوغاد في العصر الادواردي. هذا النوع من اللبس كان يتكون من سترة ممتازة تحتوى على كرانيش، وهذه السترة كان لها ياقات مخملية، مع سروال ضيق ورباطة عنق رفيعة وحذاء مزود بنعل من نوع الكريب. وصف هذا الأسلوب في الملبس بأنه محاكاة ساخرة لملبس الطبقات الاجتماعية العليا، ومحاولة لتمجيد الذكورة ولممثلين هوليود البارعين في القيام بأدوار البطل المجرم (Brake، *op.cit.*، 73-74). وبظهور موسيقى الروك آند رول (Rock'n'roll) أصبح لدى أولاد الدمى التعبير عن خيبة أملهم عن طريق هذا اللون من

الموسيقى.إذ أن الانحراف والمراهقين قد التقيا، فعندما كان يريد الكبار المحافظة على النظام في دور السينما والمقاهي والشوارع، كان أولاد الدمى يقومون بالرقص في الباصات ويقومون بتمزيق مقاعد دور السينما بشفرات الحلاقة، ويهاجمون كل دخيل يدخل إلى حدود مناطقهم (Munci، and Hughes، *op.cit.*، 167).

أخذت ثقافة أولاد الدمى في الانتشار، وخضعت للعديد من التغيرات الهامة، فقد استبدلوا سترات العصر الإدواردي ذات الكرانيش بالسترات الجلد.. إلا أنها في نهاية الخمسينات بدأت في الاضمحلال، بل ظهر نموذج آخر من نماذج ثقافة الشباب، عرف باسم راكبوا الدراجات (Ibid،169).

(١-٢) راكبوا الدراجات (Mods)

زاول راكبوا الدراجات الأعمال التي لا تتطلب قدراً كبيراً من المهارة، والتي رفض العمل بها أبناء الطبقة المتوسطة، أسلوب راكبي الدراجات يتميز بالشعر القصير، وارتداء البزات الأنيقة المصممة على النمط الإيطالي، والشعور بالزهو من هذا المظهر الأنيق. كان عقارهم المخدر المفضل لديهم هو الأمفيتامينات (Brake، *op.cit.*، 74-75). في ثقافة المودس (Mods) تعتبر الملابس والدراجات رموزاً للتضامن، بينما الأمفيتامينات فكانت تمكنهم من الاستمرار في الرقص طوال الليل في الملاهي الليلية ونوادي الديسكو. هذا الأسلوب الذي ابتكروه تم تفسيره على أنه محاكاة ساخرة من المجتمع الاستهلاكي الذي يعيشون فيه، فقد كانت أوقات فراغهم تتركز في المقابلات بنوادي الموسيقى وصالات الرقص، وكانوا يقدمون في هذه الأماكن ألواناً موسيقية تنتمي لأميريكا الوسطى، مثل موسيقى البلوبيت (Bluebeat). الكثير من هذه النوادي الموسيقية كان في الماضي مقصوراً

على السود. ومحاكاة راكبي الدراجات لأسلوب السود يكشف أن العديد من الثقافات الثانوية قامت على الميراث الثقافي للسود في الموسيقى والأزياء (Munci، and Hughes، *op.cit.*، 108).

بحلول عام ١٩٦٦م بدأت حركة راكبي الدراجات في التضاؤل والانحسار بسبب معاناتها من ضغوط وسائل الإعلام، وأيضا معاناتها من المتناقضات الداخلية وخاصة بمجيء "حليقو الرؤوس" ومجموعات "الهيبز" (McCracken، *op.cit.*، 15).

(١-٣)- حليقو الرؤوس (Skinheads)

ظهرت ثقافة حليقي الرؤوس في بريطانيا تقريباً عام ١٩٦٨م، وانتقلت للولايات المتحدة الأمريكية في الثمانينات من القرن العشرين، وقد كانوا من الشباب غير المهرة في الطبقة العاملة. يتمثل أسلوبهم في الصورة الضاحكة للمظهر، وفي الزعم بصلابة وقوة الذكور في الطبقة العاملة. من أسلوبهم الشعر المقصوص، ولبس الأساور، والسروال الذي لا يصل إلى السترة، وارتداء أحذية البوفر التي لها رقبة جلد طويلة، وممارسة العنف والشغب أثناء مباريات كرة القدم. وقد تبنوا موسيقى الإسكا (Aska) والريجاي (Reggae). وتجنبوا الذهاب إلى النوادي الليلية، لأنها مكلفة مادياً، ولأنهم ألفوا واعتادوا على أنشطة الطبقة العاملة التقليدية، مثل ارتياد الحانات واحتساء الكحوليات ومشاهدة مباريات كرة القدم والتجول في الشوارع. لقد استكشفوا الشوارع التي كانت ملوثة في نظرهم بأصحاب الخلق والنقاد والمغالبين في الدين، أولئك الذين رفضوا مثل هذه القيم أصبحوا أهدافا شرعية لعدوانهم.

على الرغم من التغيرات التي حدثت في التصنيع و في إمكانيات المبيعات الاستهلاكية، والتي أدت بدورها إلى التغيرات في ثقافات شباب الطبقة العاملة، إلا أن أسلوب حليقي الرؤوس لم يختف أبدا. هذا الأسلوب استمر في الظهور على السطح من حين لآخر، وذلك في موسيقى الأوي "Oi" والشغب في مباريات كرة القدم، كما ظهر في الحزب الوطني البريطاني، والنازيون الجدد، وجماعات الماسيست البيض (White Macist) خاصة في ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية

.(www.encyclopedia.com،Source: Skinheads)

(٤-١) الأشرار (Punks)

ظهرت ثقافة "البونكس" كما أطلق عليهم مارش (Marsh) في لندن صيف ١٩٧٦م. حيث دفع الجفاف الاقتصادي بأعداد كبيرة من المراهقين إلى الثقافة الفرعية للبونكس، لقد حلقوا رؤوسهم وصنعوا الملابس الخاصة بهم، "ملابس مرشوشة يدويا، بنطلونا ممزقا، وتصفيفه شعر مفرطة".

وفي الولايات المتحدة، كانت الثقافة الفرعية للأشرار تمردا ضد الأشكال الأبوية، وكان البنوكس يتجمعون في نوادي الجنس، ونوادي موسيقى الروك، وفي نوادي يطلق عليها نوادي الروكسى. بالمقارنة مع حليقي الرؤوس، كانوا البونكس عدميين إي لا يهتمون بالقيم والمعتقدات التقليدية، وثقافتهم ليس لها أساس. ورأوا أنفسهم كغرباء في المجتمع، كما رأوا أنهم لا يوجد لهم مستقبل في المجتمع ولا في الحياة، ولم يستطيعوا الاعتماد على ثقافات الماضي، لهذا حاولوا بناء ثقافة تقوم على الرفض التام لثقافات الماضي، خاصة ثقافة الهيبز وثقافة الروك. وكان ثقافتهم "ثقافة اصنع

بنفسك"، لقد ارتدوا أي منتج رخيص وحقير كهجوم على الأساليب السابقة. كان من ضمن ثقافتهم أكياس القمامة البلاستيكية، والمراحيض، ودبابيس الأمان، والقمصان الممزقة، والأمتعة الشخصية النازية، كما أن الزى المدرسي المتسخ كان له قيمة كبيرة في ثقافتهم، لأنه زى يتميز بالغرابة والشذوذ وغير قيم.

الشذوذ والانحراف في ثقافتهم، كانوا يرمزون إليه بارتداء الملابس المطاطية، والجوارب الشبكية، ومعاطف المطر القذرة. النساء في فرق الأشرار المبكرة، حرات في أن يكن عدوانيات كنظرائهم من الذكور.

كذلك يمكن أن نرى ميلهم للشذوذ والانحراف في أسماء فرقهم الموسيقية التي ظهرت في عام ١٩٧٦م، مثل فريق مسدسات الجنس، وفرق الملاعين. كما يتضح هذا الشذوذ والانحراف في أسماء ممثليهم المسرحيين مثل سيد الشرير، وجوني المعفن، وجاك الجربان. وأيضاً في أسماء أغانيهم الغريبة، مثل أغنية "أنا أريد أن أكون مريضاً".

حاول البونكس أن يعرقلوا كل ثقافة كانت موجودة من قبل، لكي يحولوا كل شيء إلى السخافة ومنافاة العقل. كل فرد يمكن أن يغزف على الجيتار، كل واحد يمكن أن يكتب وينتج " مجلات الأنصار". كل واحد يمكن أن يبتكر أساليب جديدة في الرقص واللبس. في الحقيقة لم يهتموا بالأشياء التي يفعلونها، بل الأهم عندهم أن هذا الشيء لن يقبله الآخرون.

.(www.sonlifeafrica.com،Source: Punks)

٢- الثقافات المضادة و المعارضة

(Counter cultures and Dissent)

ظهرت هذه الثقافات من خلال الاحتجاجات الثقافية والسياسية التي انبثقت من شباب الطبقة المتوسطة، عندما عبروا عن عدم انتسابهم للمجتمع المهيمن ورفضهم له عن طريق المنظمات السياسية وحركات التحرير وأساليب الحياة البديلة. ولذا اعتبرت هذه الأنشطة كثقافات مضادة أكثر من اعتبارها ثقافة ثانوية. مصطلح " الثقافة المضادة " تم استخدامه هنا لوصف تلك الثقافات التي تقدم أساليب مضادة للنظام الاجتماعي، وكيف يجب تنظيم هذه الأساليب والمحافظة عليها. وقد بين كلارك (Clarke) أنه يجب أن نكون حذرين عند استخدام هذا المصطلح، إذ إن العديد من هذه الثقافات اندمجت في قيم الثقافة السائدة أو في الحقيقة أن هذه الأفكار تدين بوجودها إلى تلك القيم السائدة التي من المفترض أن تعارضها. هذه الثقافة المضادة يمكن اعتبارها على أنها أزمة داخل الثقافة السائدة أكثر من كونها مؤامرة ضد الثقافة المهيمنة. من نماذج هذه الثقافات ما يلي:

(٢-١) الوجوديون (Beats)، والحملة لنزع السلاح النووي (CND)، واليساريون الجدد (NewLeft):

قبل ظهور أولاد الدمى وجماعات محبو الروك آند رول في عام ١٩٥٣م، كان يوجد قطاع من شباب الطبقة المتوسطة عبروا بالفعل عن عدم رضاهم بمجتمع ما بعد الحرب العالمية الثانية، أطلق عليهم مصطلح "الوجوديون". وقد اختاروا طواعية حياة الفقر بتجنب العمل وهذه الحرية التي اكتسبوها كانوا يعبرون بها عن احتجاجهم على الأنظمة البيروقراطية والتكنولوجية المتزايدة وعن تشاؤمهم حول المستقبل وإمكانية تحقيق التقدم.

وكانت موسيقى الجاز، والشعر الطويل، والماريجونا، أبرز علامات ثقافة الوجوديون. تلك الثقافة التي تقوم على عنصر واحد، هو الرفض الثقافي والإنساني للصناعة التي وجدت أقدامها في حملة نزع السلاح النووي. ففي منتصف الستينيات، شريحة من الشباب والكبار من الطبقة المتوسطة، وخاصة في بريطانيا، كانوا مهتمين بهذه القضايا، لأن هذا الوقت كان بداية مجيء الحقبة النووية، وعصر القنبلة الهيدروجينية، وإمكانية تحقيق السلام العالمي. بين أعوام ١٩٥٣ و ١٩٥٧م كانت مخاطر تساقط الغبار الذري مسيطرة على أولئك الذين يقومون بحملات بغرض إلغاء الاختبارات النووية. في عام ١٩٥٨م نظمت "الحملة لنزع السلاح النووي" مسيرة للاحتجاج ضد مركز أبحاث الأسلحة النووية في مدينة ألدرماستون (Aldermaston)، وكان لهذا الاحتجاج صدى واسعاً في جذب أعداد كبيرة من الشباب لحركة السلام العالمية. بحلول بداية الستينيات، بدأت حركة نزع السلاح ومحاربة التسليح في الاضمحلال و لم يعد إحيائها مرة أخرى إلا في بداية الثمانينات، عندما وصلت صواريخ كروز الأميركية إلى بريطانيا.

حملة نزع السلاح النووي، ساعدت على ميلاد حركة عرفت باسم " اليساريون الجدد " خاصة بعد مسيرة الاحتجاج في ألدرماستون. في أواخر الخمسينات وبداية الستينات، كانت جماعة اليساريين الجدد تشكل أهم هيكل نظري للمعارضة في سياسات الشباب البريطاني. ولدت هذه الجماعة أو الحركة من اندماج أعضاء الحزب الشيوعي البريطاني السابق والمفكرين الجامعيين الذين كانوا يطالبون بأن الاشتراكية لا يجب أن تبنى على نموذج لينين (Leninist Model) لمركزة الأحزاب السياسية، ولكن يجب أن تبنى على مباديء الليبرالية الجديدة.

نقاط التقاطع التي يلتقي فيها ثقافة الشباب والانحراف خضعت لتحليل بريسدي (Presdee 2001) حينما حلل الجريمة كاحتفال، وبين أن الحظر هو تحدي وليس رادع، حيث أن الزيادة في السيطرة يدفع للمزيد من ارتكاب الجرائم أكثر مما تساعد على الامتثال للقانون. وبهذا يكشف بريسدي عن التناقض عندما تحاول الدولة أن تفرض النظام بدرجة أكبر على تفاصيل الحياة اليومية، فإن هذا تسبب في زيادة الخضوع، لكنه تسبب في نفس الوقت في زيادة درجة التذمر والرفض من الناحية العاطفية. وبحسب بريسدي، السعي وراء المتعة أصبح في حد ذاته عداء للدولة، إذ ربط بين النظام والمتعة من خلال فكرة " الجريمة كاحتفال" "Crime as Carnival". الاحتفال هو مكان فيه تحقيق المتعة والانتعاش والبهجة. الإفراط فى البهجة، والسخرية من السلوك اللاعقلاني، كل هذا يصبح لفترة مؤقتة مباح في لحظات الاحتفال والنشوة. ونظراً لأن مثل هذه اللحظات يمكن أن تنحسر، وبالتالي ينحسر معهم مصدر اللذة والسعادة والاحتفال، ونظراً لأن الصناعات الاستهلاكية تنتج السلع التي تسبب المتعة، ولأن الدولة أيضاً تحاول أن تمنع السلوكيات المنافية للمجتمع، فإن روح الاحتفال يعبر عنها في ممارسة أنشطة تلقائية متعددة، مثل: السكر، والهذيان، وقيادة السيارة بتهور أثناء التنزه، وقرصنة الحواسب الإلكترونية، وتعاطي المخدرات، وإقامة الحفلات في الشوارع. ولكن لأن هذا جزء من مشروع العقلانية العلمية، فإن هذه العقلانية تذيب مثل هذه الأنشطة اللاعقلانية التي ينتج عنها سلوكيات سرعان ما يتم تجريمها. بكلمات أخرى، إن الحياة اليومية عرضة لزحف العمليات الإجرامية، حيث يصبح احتفال الجريمة ضرورة في الحياة

(Presdee، 2001، 82-103).

تناول كذلك باحثو علم الإجرام الثقافي من منظري مابعد الحداثة (Postmodernism Theories) استخدام الموسيقى لفهم المعاني التي تتضمنها الثقافات الخاصة للشباب الذين اعتبروها(الموسقى) انعكاس لعالمهم الخاص فقد درست روز تريشيا (Rose Tricia) تمرد موسيقى "الهيب هوب" كنوع من الفن يعتمد على الرقص والجنس والمقاومة والعنصرية. وبينت كذلك أن موسيقى الراب تعبر عن رسائل رمزية لحياة الشباب في أمريكا بدون وظائف. وكذلك أصوات الإستريو العالية في الشوارع ما هي إلا شكلا من أشكال الجاذبية والاعتراض على حياة الأمريكيين البيض (Tricia،1994، 17، 23). وفي السياق نفسه ذكر جروسبيرج (Grossberg) في دراسته عن "الخروج من المأزق" "We Gotta Get out of the place1992" أن الشباب في محط انتقاد دائماً من قبل مؤسسات المجتمع التي تهيمن عليهم، وقد جعلوا من موسيقى الروك النشيد الوطني لهم كخروج من الأزمة التي يعانون منها (Grossberg،1992، 210). ووأكد ديك هيبدج (Dick Hebdige) أن موسيقى الروك والثقافات الخاصة الأخرى توصل مجموعة قيم محددة من خلال الأزياء والموسيقى والمصطلحات الدارجة. وتعتبر هذه "اللغة" عن انعكاس لصراع الشباب من أجل القوة. على سبيل المثال، يعكس النمط السريالي لمتبعي موسيقى الروك الأوائل، والذي تتضمن الملابس المعصوبة وحقائب كبيرة، وأحياناً علامات الصليب المعكوف الشعور باليأس الاقتصادي في إنجلترا بعد الحرب. وعلى الجانب الآخر، اختار حليقو الرؤوس نمطاً يعكس وحدة قيم الطبقة العاملة الكادحة (Hebdige، *op.cit.*، 113-117).

والموقفانية الفرنسية، وخبراء الأرصاد الجوية، والفهود السوداء في أمريكا، والجيش الأحمر الأوروبي، وجماعة بيدر ماينهوف (Baader-Meinhof). كانت الفوضى السياسية الراديكالية التي تروج لها هذه المنظمات الشبابية خلف زرع الألغام والقنابل لضرب الأهداف المرتبطة بالحكومات الأميركية والبريطانية والإسبانية في بدايات عام ١٩٦٨م. وتفجير شاحنة خاصة بهيئة الإذاعة البريطانية بقنبلة قرب نهاية عام ١٩٧٠م في صباح اليوم الذي يجرى فيه مسابقة ملكة جمال العالم. كذلك التفجيرات المتزامنة عام ١٩٧١م، التي حدثت في منزل المدعى العام البريطاني، ومقر مفوض شرطة المدينة، ومنزل وزير الداخلية (Vigil،1997،46).

الثقافة المضادة ظلت القوة المهيمنة في أسلوب ثقافة الشباب حتى نهاية السبعينات. فمن ناحية الموسيقى في الثقافة المضادة كان يوجد موسيقى الأسيد روك لفرق سان فرانسيسكو الغنائية، والموسيقى الإلكترونية لفريق بنك فلويد (Pink Floyd) الانجليزي، وأيضا موسيقى البلوز والموسيقى الشعبية بعد إحيائها. فيما يخص الأزياء والملبس، كانت مستمدة من أسواق الشرق، مثل: القفطانات، والبخور، والمعاطف الأفغانية، والصنادل، بالإضافة إلى بدلات الجيش الملونة، أو أي شيء يمكن أن يكون رمز لمخدر، أو أي شيء يؤذى مشاعر الآخرين أو يغضب الكبار. كما تم استعارة أساليب الهنود في أميريكا الشمالية، مثل: الرسوم بالألوان على الجسم، والخرز، والشعر، الطويل، وعصابات الرأس، وهذه الأساليب تضفي أشكالاً من الرومانسية والبدائية والقبلية في العصور الماضية (Brake، *op.cit.*، 101-103).

لقد ساعدت أساليب الثقافة المضادة في ميلاد العديد من المشاريع التجارية الرأسمالية الصغيرة في مجال صناعة القمصان، والفن الشعبي،

ينجز من يقرع الطبول من ١٢٠ إلى ١٧٠ دقة في الدقيقة الواحدة. كل هذا يتم من خلال استخدام نظام صوتي ضخم جدا مع تنظيم دقيق لإضاءات مبهرة كبيرة وتأثيرات إلكترونية تشمل الليزر، وماكينات الدخان، والإضاءة الوميضة السريعة، وشاشات فيديو للعرض، وكرات مضاءة، وألعاب نارية (Presdee، *op.cit*، 101).

وصفت ثقافة الهذيان على أنها أكثر الحركات الشبابية بروزاً واستمراراً وهي عبارة عن خليط من الرقص والأنشطة الليلية الجماعية والاستماع لموسيقى تكنولوجية، مع قرع عنيف على الطبول، واستخدام مخدرات من النوع الذي يحدث النشوة بشدة. تقام حفلات الهذيان في أي مكان أو مخباء قد يكون في مزرعة ريفية، أو في حقل من الحقول، أو في مطار قديم، أو في أحد مستودعات الحبوب، أو في مخازن أو مستودعات غير مستخدمة، أو أي مكان مشابه. (McKay، *op.cit.*، 117-120). كانت تقام هذه الحفلات بشكل غير شرعي وكانت تتسبب في الضوضاء ولا تحترم النظام العام، إلا أنها كانت تنظم إلى حد كبير لأغراض تجارية. تذاكر الحفلات كانت تباع قبل يوم أو يومين، حتى قبل أن يحدد مكان إقامة الحفلة، بالإضافة إلى أن موسيقى الأسيد هاوس وأنواع الموسيقى الأخرى التي نبعت منها، مثل موسيقى التكنو (Techno) والهاردكور (Hardcore)، حققت درجات عالية في قائمة أكثر المبيعات الموسيقية شعبية. بل إنها أيضا أصبحت ظاهرة عالمية، حيث انتشر تنظيم حفلات موسيقى الأسيد والهذيان على المستوى الدولي من سان فرانسيسكو في الساحل الغربي للولايات المتحدة إلى "جوا Goa" في الهند، و"بانجان "Pha-Ngan في تايلاند (Ibid، 143).

الخاتمة:

من الأهمية بمكان أن نشير في خاتمة هذه الدراسة إلى أن هناك عدداً من القضايا أو المسائل المتعلقة بثقافة الشباب الثانوية، وتتمثل في أنها: ثقافة ذكورية – ثقافة تجارية أي صنعتها وروجت لها الصناعات الاستهلاكية والترفيهية – ثقافة منحرفة أو جانحة – ثقافة غالباً ماتكون خاصة بشباب الطبقة العاملة. هذه القضايا محل خلاف بين الدراسات التي تناولت أساليب وأنماط ثقافة الشباب. فبالنسبة لوصف ثقافة الشباب بأنها ذكورية ، غالباً مايتم ذلك على أساس أن قدرة ثقافة الشباب على إثارة عداء الكبار يكمن في ميلها الذكوري الواضح. ويرى ماك روبي وفيرث (McRobbie & Frith) أن هذا لا يجب أن يساء تفسيره كأي حركة نحو التحرير الجنسي. كل أوجه ثقافة الشباب تعزز التعريفات التقليدية للذكورة والأنوثة، فالبنات لم تكن غائبات بالضرورة من الثقافات الثانوية، إلا أن مشاركتهن أقل بسبب مكانتهم الاجتماعية. إن البنات لا يحققن دخل مادي كاف، وقدرتهن على الإنفاق المادي أقل بكثير من قدرة الأولاد. كما أن الآباء يراقبون البنات في أوقات فراغهن بدقة أكبر، ويفرضون عليهن قيوداً أخلاقية واجتماعية، التي من شأنها أن تجعل سلوك البنات خارج المنزل مقيداً بدرجة كبيرة. بعد ذلك أصبحت البنات لديهن القدرة على ممارسة أنشطة جديدة في وقت فراغهن خارج نطاق المنزل، وبذلك تمكن من رؤية العالم الخارجي. إلا أن المجتمع تعامل معهن على حسب نوع جنسهن، أيضا تعاملت معهن الثقافات الثانوية بنفس الأسلوب القائم على التمييز بين الجنسين. فالحلول التي تم تقديمها لمشكلات الشباب كانت حلولاً تقدم للفتيان ولم تكن تقدم بالتأكيد للفتيات (McRobbie and Frith، 1978، 101-102).

من جانب آخر، يتضح أن المقاومة عن طريق ثقافة الشباب مبنية على ملائمة وإبداع الأسلوب الذي يتحد بتفاعله مع الصناعات الاستهلاكية. فقد تبين من مراجعة ميلي (Melly) لعشرين عام من الثورة في ثقافة الشباب البريطاني أن "ما يبدأ كثورة ينتهي كأسلوب"، إذ أن الصناعات الاستهلاكية تتوق دائماً إلى تسويق أي نوع يمكن استغلاله لتفنن الشباب وتحركهم، وتقدم لهذا الشباب المتمرد مظاهر تليفزيونية وشهرة ومال. وهكذا فإن أي حركة شبابية يتم تعبئتها وتجديدها وجعلها أكثر التزاما بأهداف المنفعة أكثر من النقد الاجتماعي. بحيث تكون فعالة وقابلة للتجديد من الناحية التجارية، لذا فإن المحصلة النهائية متشابهة في الحالتين، بالنسبة للتجارة، سرعان ما تتجاهل السلع الاستهلاكية القديمة وتبحث عن أساليب شبابية جديدة لتروج لها من أجل المحافظة على طلب السوق وجعله مستمرا، بينما ثقافات الشباب تزود معاني جديدة للأساليب الموجودة فعلا أو تبتكر أساليب حديثة، على سبيل المثال الموسيقى التي يستمع إليها جماعات البونكس كان يقوم بإنتاجها كل شركة إنتاج موسيقى في بريطانيا وأمريكا ليس كرمز من رموز مقاومة الطبقة العاملة ولكن كموضة من موضات الشباب (Melly،1972،109-107) .

من جهة أخرى، تواجه ثقافة الشباب صعوبة بخصوص الانحراف، إذ إن الأساليب غير المنحرفة تم ابتكارها وتمكنت من أن تحظى بشعبية واسعة الانتشار بين الشباب. إذ قدم التركيز على الأساليب المثيرة والمدهشة تحليلا موسعاً لوقت فراغ الشباب، حيث مالت التغطية الإعلامية لتقديم الأشياء المثيرة على حساب الحياة اليومية العادية. بينما الكثير من الناس يتبع الموضة، إلا أنهم ليس من الضروري أن يلتزموا بالأساليب الشاذة، بعض الشباب يقبل ويستخدم أي أسلوب تقدمه الصناعات الاستهلاكية والترفيهية، إذ

إن الاهتمامات الرئيسة للشباب تعكس وتقابل تلك الاهتمامات في نظام القيم السائدة، وأيضا الاهتمامات المنحرفة والمعارضة (Munci، *op.cit.*، 203). فمن الدراسات التي تناولت وقت الفراغ لدى الشباب والأنشطة التي يمارسونها في هذا الوقت كانت دراسة هولاندس (Hollands) عام ١٩٩٥م حيث قام بتحليل أنشطة وقت الفراغ في الليل في مدينة نيو كاسل (Newcastle) ببريطانيا، وتوصل إلى أن النشاط الرئيس الذي يمارسه الشباب في وقت الفراغ الليلي لم يكن الخروج للتنزه وشرب الخمر، ولا للبحث عن صديق لممارسة الجنس، ولا للشجار مع بقية الشباب (كما تفترض وسائل الإعلام)، ولكن كان من أجل الاجتماع مع الأصدقاء، وإقامة علاقات اجتماعية شخصية مع الآخرين. توصل هولاند أيضا في دراسته إلى أن الخروج يوفر مساحة لبناء الهويات. فالشباب لا يخرج فقط من أجل فعل الملذات، لكنه يفعل ذلك لاستعادة المجتمع والعلاقات الاجتماعية عن طريق الصحبة والأصدقاء (Hollands، 1995، 103- 186).

وبالنسبة لارتباط ثقافة الشباب بأبناء الطبقة العاملة ، فقد توصل روبرتس وبارسيل (Roberts & Parsell) عام ١٩٩٤م من مسح طولي على الشباب بين أعمار ١٦-١٩ سنة في نهاية فترة الثمانينيات، إلى أن الاعتقاد التقليدي الذي مؤداه أن ثقافات الشباب نابعة من جذور الطبقة العاملة، لم يعد ساريا بل تم محو هذا الاعتقاد. حيث أن شباب الطبقة المتوسطة يزيد من إنتاج ثقافات الشباب واستهلاكها، ولم يكن هناك أي إشارات لثقافات الشباب التي تعبر عن العداوات الطبقية أو حتى تؤكد على الفروق الطبقية (Roberts and Parsell، 1994، 36-43). بالرغم من استمرار القلق من الشباب كمصدر لإثارة المشاكل الاجتماعية والقلق السياسي، إلا أن أنشطة وقت فراغ

الشباب تضمنت خليط من الأساليب التي تتحدى أي طبقة أو أي تحليل مبنى على أساس عرقي، فالشباب لم يعد يعتمدون على الطبقية في بناء هوياتهم، لكنهم ينشئون أساليب في الحياة مرنة وقابلة للتكيف مع العالم الذي يحيط بهم (Munci، *op.cit*، 189). وفي السايق نفسه، يبرهن ويليز (Willis) عام ١٩٩٠م في مؤلفه المسمى "الثقافة المشتركة Common Culture" أن الشباب عن طريق الفراغ يعبرون أو يحاولون أن يعبروا عن شيء ما عن أهميتهم الثقافية الفعلية بعيداً عن الطبقة أو محددات أخرى ربما يكون هذا التعبير فردياً أو جماعياً. حيث يحقق الشباب عن طريق اللغة، والملبس، والتخيل، والدراما إبداع رمزي فيه تزيف هوياتهم وتصنع ثانية ويتعايش معها ويتم تجربتها (Willis، 1990، 11).

إيجازاً إلى ما تقدم يمكن القول أن ثقافة الشباب اليوم ليست مجرد ثقافة فرعية خاصة بطبقة معينة أو مجتمع دون آخر. وإنما هي ثقافة متجهة بسرعة نحو ما يعرف (بثقافة العولمة) ثقافة الفضائيات، والأقراص الممغنطة، الإنترنت والتقليعات المجنونة، الموسيقى الصاخبة،والجنس وكل ما يحقق المتعة. تتضمن هذه الثقافة شكلين رئيسيين من السلوك اللاجتماعي، هما التمرد والسلبية. التمرد يمكن أن يأخذ شكل التمرد الثقافي (في أسلوب المظهر ونوع الموسيقى.. الخ) والعنف وغير ذلك من الأنشطة الإجرامية. بينما تمثل السلبية نفسها من خلال انعزال الشاب عن العالم المحيط به. كلا الشكلين استجابة للمشاكل التي تواجه الشباب بشكل جماعي، ويتضمنا طرقا شاذّة من السلوك وجدت بين فئات الشباب دون الفئات الأخرى من المجتمع.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

جدنز، أنتوني (٢٠٠٥م) *علم الاجتماع*، ترجمة، فايز الصياغ، بيروت: دار الوحدة العربية.

حجازي ، عزت (١٩٨٧م) *الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها*، مجلة عالم المعرفة ، الكويت: العدد ٦.

الزيدي، المنجي (٢٠٠٦م) *ثقافة الشباب في مجتمع الإعلام*، عالم الفكر، الكويت: العدد ١، المجلد ٣٥،ص ص٢٠١-٢٣٣.

السيد، عبدالعاطي السيد (٢٠٠١م) *صراع الأجيال: دراسة سوسيولوجية في ثقافة الشباب*، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

فيرث، سايمون (٢٠٠١م) *علم اجتماع الشباب*،: بغداد، بيت الحكمة، ترجمة إحسان الحسن وآخرون.

مرسي، محمد عبدالمعبود (١٤٢٣هـ) الثقافة الفرعية إطار لتفسير السلوك الجانح، *مجلة ابحوث الأمنية*، الرياض: العدد ٢٣، ص ص ٢٢٥-٢٦٤.

وزارة الاقتصاد والتخطيط (٢٦-١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) *كتاب الإحصاء السنوي*، العدد الثاني والأربعون.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Brake، Michael، (2002) *Comparative Youth Culture*، New York: Routledge.

Cohen، Albert K (1955) *Delinquent Boys: The Culture of Gangs*، New York: Free Press.

Ferrell، Jeff and Sanders، Clinton، (1995) *Cultural Criminology*، Northeastern University Press.

Gaines، Donna، (1993) *Teenage Wasteland Suburbia's Deadend، Kids*، New York: Harper Collins.

Grossberg، Lawrence، (1992) *We Gotta Get out of the place: Popular Conservationism and Postmodern Culture*، New York: Routledge.

Hollands، R. (1995) *Friday Night، Saturday Night: Youth Culture Identification in the Post-Industrial City*، Newcastle، University of Newcastle Press، pp186 -109

Katz، J. (1988) *Seductions of Crime: Moral and sensual Attractions in Doing Evil*، New York: Basic Books.

Kutubkhna، I. (1997) *Sociological Texts*، Jeddah: Dar Jeddah.

Lyng، S. (1990) Edgework: asocial psychological analysis of voluntary risk taking، *American Journal of Sociology*، 95، (4) pp 851-886.

Munci، John (2004) *Youth & Crime*، London: SAGE Publications.

Munci، J. and Hughes، G. (2002) *Modes of Youth Governance: Political Rationalities، Criminalisation and Resistance*، London: saga.